.السيطرة على البيئة:

تعتبر حاسة البصر الوحيدة التي تمكن الفرد من معرفة المسافات و الاتجاهات الصحيحة، ويدرك عن طريقها تفصيلات الاشياء وعلاقاتها ببعضها البعض، وتستلزم الخبرة البصرية اتصالاً وثيقا بالبيئة ومحتوياتها. ووسيلة استكشاف البيئة بمظاهرها الطبيعية والاجتماعية والسيطرة عليها هي البصر. ويؤدي بذلك فقد البصر الى فصل الفرد عن البيئة التي يعيش فيها مما يؤثر في نموه النفسي الى حد بعيد.

والطفل الاعمى الذي يوجد في احدى الغرف لا يستطيع ان يعرف اي شيء عنها سوى ما يلمسه او يسمعه او يشمه، في حين ان الطفل المبصر اذا وجد في تلك الغرفة فأنه سوف يعرف كل ما يريده عنها بنظرة سريعة من عينيه. وجميع المعلومات التي تصل الى الطفل الاعمى عن طريق اللمس او السمع او الشم تساعده الى حد ما على السيطرة على البيئة، واذا فرضنا انه في اثناء وجود الطفل الاعمى داخل تلك الغرفة شب حريق بالمنزل وسمع صياحاً بالخارج فأنه يرغب في معرفة سبب ذلك، ولكنه لا يستطيع الحركة بسهولة لفقد بصره، اما الطفل المبصر فأنه يكون من السهل عليه ان ينظر من النافذة فيعرف سبب الصياح ومكان الحريق وطريق النجاة، وهكذا يجد الاعمى نفسه في هذا الموقف في حالة تسبب له القلق و التوتر.

وأنفصال الطفل الاعمى عن البيئة يؤثر على نموه النفسي، فهو لن يحبو كالطفل المبصر للوصول الى اشياء تسترعي انتباهه ، الا إذا أدرك هذه الاشياء. ولكن كيف السبيل الى ادراكها..!! ان الطفل المبصر يراها فيدركها، اما الاعمى فلن يدرك منه الا ما يتحسسه او يسمع له صوتاً او يشم له رائحة. اي ان ادراكه للاشياء ينحصر في نطاق وهو ما تسمح به حواسه الآخرى.

ولا يستطيع الطفل الاعمى ان يكتسب انماط السلوك المختلفة التي يكتسبها الطفل المبصر بسهولة عن طريق التقليد البصري والتي تعتمد على حاسة البصر مثل ارتداء الملابس او تناول الطعام، ولا يستطيع ان يسلك في المواقف الاجتماعية السلوك المطلوب كما يفعل الطفل المبصر الذي يرى كا ما يحيط به.

ويعجز الاعمى عن التعبير بالحركات سواء أكانت بالأطراف أو الوجه لان هذه الحركات تعتمد على التقليد البصري، وهو لم ير غيره يقوم بهذه الحركات. ولكنه قد يستعيض عن ذلك بالتعبير في نبرات صوته لكي يعبر عن انفعالاته ومشاعره، وهكذا نجد الاعمى دائماً عاجزاً عن السيطرة على بيئته سواء من الناحية الطبيعية او الاجتماعية.

ومن الآثار الناجمة عن عدم قدرة الاعمى على السيطرة على بيئته خوفه من مراقبة المبصرين، فأنه يشعر دائماً بأنهم يراقبون سلوكه مما يجعله قلقاً متوتراً. ولذلك نجده دائماً متحرجاً ومتردداً في المواقف الاجتماعية. وتبين لنا من ذلك انه اكثر تعرضاً للاجهاد العضلي والشعور بعدم الأمن مما يؤثر على صحته النفسية.

أثر الأتجاهات البيئية

الشخصية هي نتاج العوامل الوراثية والعوامل البيئية والطفل الذي أصيب بعمى خلقي يخبر الحياة بطريقته الخاصة ، التي تختلف عن الطرق التي يتبعها الأطفال الآخرين لإختبار الحياة،وعليه أن يواجه أيضاَ الصعوبات التي تعترض سبيله.وتتأثر شخصيته نتيجة لهذه الأختلافات ،ونتيجة لعوقه هذا فهة يقع تحت توتر نفسي أكثر من غيره ويشعر بالأحباط وأنعدام الأمان. وهناك مصدر آخر للصراعات يجب أن ندخله في إعتبارنا وهو الأتجاهات نحو العمى والعميان بوجه عام.

على الرغم من عدم توافر كثير من الدراسات التي تتناول أتجاهات المجتمع نحو الأعمى ، إلا أن هناك كثيراً من مظاهر تلك الأتجاهات التي تمكننا من التوصل إلى نتائج عامة. وولقد راجع باركر Barker وغيره مانشر عن الأتجاهات نحو الأعمى ووجدوا أن هناك إجماعاً عاماً بين العميان وأولئك الذين يعملون معهم على أن الأشخاص العميان غالباً ما ينظر إليهم على أنهم أشخاص عاجزون لاحول ولاقوة يعتمدون على غيرهم وغالباً ما يوضعون في مواقف لاتمنحهم أي سلطة أو إمتياز.

لا شك أن أتجاهات الوالدين نحو طفلهما الأعمى تؤثر الى حد بعيد في حياته. ولقد أجرت سومرز دراسة دقيقة تناولت بعض العوامل المؤثرة في شخصية المراهق الأعمى لتكشف عما أذا كان هناك علاقة بين الأتجاهات والتصرفات الوالدية وبين سلوك طفلهما الأعمى واتجاهه نحو عجزه.

وقد أظهرت دراسات الحالات التي أجرتها أربعة أسباب مختلفة لإظهار الأباء صراعاتهم في علاقاتهم مع طفلهم المعوق :

1- يعتبر العمى رمزاً للعقاب وينظر الآباء الى طفلهم الاعمى كنوع من العقاب الإلهي لهم.

2- خوفهم من أن يشتبه في إصابتهم بأحد الأمراض الخطيرة.

3- مشاعر الإثم التي قد ترجع الى الاعتداء على القانون الاجتماعي و الأخلاقي أو الإهمال أو الإستياء من حالة الحمل أو محاولة الإجهاض، وغيرها مما يمكن ان يكون سبباً لمثل هذه المشاعر.

4- إصابة الطفل بالعمى تعتبر عيباً وخزياً شخصياً للوالدين.

وتقع طرق سلوك الابوين نحو طفلهما المعوق في خمسة انماط محددة:

1- تقبل الطفل وعجزه: في هذه الحالة يتقبل الأبوان العجز على نحو موضوعي ويظهران حبهما للطفل وتقديرهما له ولا يبديان شعورهما بالإثم او يعبران عن ثورتهما ضد ناحية العجز.

2- إنكار العجز وعدم الاعتراف به: ليس للعجز في هذه الحالة اي أثر انفعالي على الأبوين ويبدو سلوكهما كما لو كان الطفل غير معوق. وتبين خططهما التعليمية والمهنية بالنسبة لطفلهما انهما لا يتقبلان قصوره او يعترفان به فلديهما افكار طموحة بالنسبة للطفل ويصران على مستوى عال من الإنجازات.

3- الحماية الزائدة: قد يسيطر على الأبوين الشعور بالشفقة الذي يتمثل في إفراطهما في العطف عليه و المبالغة في حمايته وقد تؤدي حاجة الأم الى شيء تحبه وتعنى به الى أنها تبقي طفلهما على مستوى الطفل الوليد، وتبين العناية بالطفل مشاعر الحب و المبالغة في الاهتمام به.

4- النبذ المقنع: يعتبر العجز عيباً وخزياً في هذه الحالة. ويظهر الاتجاه السالب نحو الطفل وكذلك الاستياء منه بطريقة مستترة يظهر الأبوان شفقتهما الزائدة واهتمامها بسعادة طفلهما العاجز.

5- النبذ الصريح: يكره الوالدان طفلهما الأعمى في هذه الحالة بطريقة واضحة وصرحية، ويحسان بمشاعر عداوتهما نحوه ولكنهما يلجأن الى أساليب دفاعية لتبرير مثل هذه المشاعر. ويعيبان على المجتمع والمدرسين عداوتهما وتحيزهما ضد طفلهما الأعمى، وبهذه الحيلة الإسقاطية يحقق الأبوان شعوراً بتبرير عداوتهما نحو الطفل ويخففان من حدة الشعور بالإثم.

وتبين سومرز Sommers انه لا يمكن إقامة حدود فاصلة بين هذه الأنماط السلوكية الخمسة حيث نتوقع ان تتداخل بعض الاتجاهات مع بعضها البعض. فيمكن ان نعتبر تقبل الطفل وكذلك إنكار العجز أتجاهين موجبين نظراً لأنهما يسمحان للطفل بأن ينمو ويشترك مع الآخرين في أنشطتهم. والحماية الزائدة والنبذ بصورتيه المقنع و الصريح تعتبر أتجاهات سالبة تتداخل مع نمو الطفل أو تقف حجر عثرة في سبيله.

ويتصل السلوك التوافقي للمراهقين العميان الذين درستهم سومرز بالاتجاهات الوالدية، ولقد بدأ في الانماط الستة الآتية:

1- استجابات تعويضية سليمة: يعترف الشخص بنواحي قصوره الناتجة عن عجزه ويتقبلها، ويحاول ان يقلل منها وذلك عن طريق التعويض. فقد يظهر مثلا روحا للتنافس حتى يحقق ما تصبو إليه نفسه من أهداف معقولة. وعند تعقد المشكلات المتعلقة بعجزه فأنه لا يبدي اي تجنب لها (14% من الاشخاص).

2- استجابات تعويضية مفرطة: في هذه الحالة يبدي الشخص عدوانا زائداً واستياءاً من النقد (14% من الاشخاص).

3- استجابات الانكار: لا يعترف الشخص بنواحي القصور الفعلية الناتجة عن العمى ويتجلى ذلك في خططه التعليمية و المهنية و نواحي نشاطه المختلفة وميوله وينكر الشخص ان العمى معوق له ويتجنب مناقشة المشكلات المتصلة بعجزه (12% من الاشخاص).

4- استجابات دفاعية: يستخدم التبرير أو الإسقاط لأعطاء أسباب مقبولة اجتماعيا لسلوك الشخص، حتى يحمي نفسه من ضرورة الاعتراف بالأسباب الحقيقية لإخفاقه، ويلوم المجتمع لتحيزه ضد المكفوفين ويشعر أنه يعامل بطريقة غير عادلة. (28% من الاشخاص).
5- استجابات انسحابية: تتركز أفكار الشخص الأعمى ونشاطاته حول عجزه البصري، ويتراجع انفعالياً أو على أساس منطقي. ويتميز بتجنبه للاتصالات الاجتماعية و التنافس مع غيره فيما عدا الذين يتشابهون معه في ناحية العجز و يسيطر عليه الشعور بالدونية. ويستغرق في ألوان النشاط الفردية وأحلام اليقظة. (18% من الاشخاص).
6- أستجابات لسلوك غير متوافق: يظل الشخص غير متوافق ، وغير قادر على مواجهة مشكلات الحياة ، ويظهر سوء التوافق في أعراض كثيرة منها التمركز حول الذات وعدم الثبات الأنفعالي والقلق الشديد.